

٦

أنواع بحوث الاعلام

تمثل عملية تصميم البحوث الخطوة التالية لتحديد مشكلة البحث تحديدا دقيقا واضحا يجعل من السهل التعرف على نوع المعلومات المطلوبة.

ويقصد بتصميم البحث وضع وتحديد الإطار الذى يسمح بتجميع البيانات وتبويبها وتحليلها بالطريقة التى تؤدى إلى تحقيق أهداف البحث فى أقل قدر ممكن من الخطوات ، وبالتالي يمكن اعتبار هذا التصميم مشروعا متكامل للبحث يتضمن نوع المعلومات والبيانات المطلوبة ، وطرق تبويبها وتحليلها لمعالجة المشكلة، مع تحديد مصادر الحصول على هذه البيانات ووسائل جمعها وتحليلها واستخلاص النتائج منها، وتستهدف هذه الخطوة أيضا التأكد من جمع البيانات الضرورية لتحديد المشكلة ووضع الاقتراحات والتوصيات المناسبة لمواجهةها بأكبر قدر ممكن من الدقة وبأقل تكلفة ممكنة.

وترتبط عملية تصميم البحوث أساسا بالهدف النهائى للبحث، وبنوع البيانات المطلوبة ، ودرجة وضوح المشكلة ، ومدى التعرف على الفروض المختلفة لها، ونوع النتائج التى يسعى الباحث للوصول إليها .

التصنيفات المختلفة للبحوث العلمية :

يدل استعراض مجموعة الدراسات الخاصة بطرق البحث ومناهجه فى العلوم المختلفة - وعلى الأخص العلوم الاجتماعية - على وجود عدة تصنيفات

مختلفة لنوعيات البحوث ، والملاحظ أن هذا الاختلاف يرجع إلى أن كل تصنيف منها يحكمه متغير مختلف عن المتغيرات التي تحكم التصنيفات الأخرى.

ويذهب بعض الخبراء إلى تقسيم البحوث طبقا للمجال العلمى الذى ينتمى إليه البحث (بحوث فى مجال العلوم الطبيعية ، بحوث فى مجال العلوم الاجتماعية، بحوث فى مجال الانسانيات)، بينما يذهب البعض الآخر إلى تقسيمها حسب الهدف النهائى من اجراء البحث (بحوث علمية بحتة، بحوث عملية تطبيقية)، أو على أساس الوسائل أو التكنيك المستخدم فى البحث (بحوث كمية، بحوث كيفية أو نوعية) أو طبقا للمنهج المستخدم (بحوث تستخدم المنهج التجريبي، أو التاريخى ، أو غيرها من المناهج) أو طبقا للمجال الذى تجرى فيه الدراسة (بحوث مكتبية أو وثائقية ، بحوث ميدانية ، بحوث تجريبية).

وباستعراض هذه التصنيفات نلاحظ درجة كبيرة من التداخل بينها، وبالتالي عدم وجود تصنيف مستقل متميز يمكن الاعتماد عليه فى تقسيم البحوث، فمن الممكن مثلا ان تتداخل معايير المجال العلمى للبحث مع الهدف من اجرائه ، مع التكنيك المستخدم فى اجرائه ، مع منهجه والمجال الذى يجرى فيه، ذلك ان هناك بحوثا تطبيقية فى مجال العلوم الاجتماعية تستخدم الأسلوب الكمي والمنهج التجريبي وتجرى فى مجال ميدانى ، وهكذا يمكن ان نورد العديد من الأمثلة التى توضح مدى التداخل بين هذه التصنيفات المختلفة للبحوث، الأمر الذى يقودنا إلى محاولة الوصول إلى تصنيف أكثر شمولاً يمكن أن تندرج تحته البحوث المختلفة بغض النظر عن طبيعة العلوم التى تنتمى إليها ، وعن المناهج والأساليب التى تستخدمها ، وعن المجالات التى تجرى فيها.

ويعتمد هذا التصنيف على معيارين أساسيين هما :

(١) طبيعة الاحتياجات البحثية المختلفة وهى التى يمكن ترجمتها إلى أهداف

أساسية للبحوث مهما تعددت مجالاتها أو اختلفت مناهجها ، وتمثل هذه الاحتياجات والأهداف المدخل الوظيفي Functional فى تصنيف البحوث.

(٢) مستوى المعرفة العلمية فى المجال الذى تجرى فيه البحوث، وما احرزه العلم أو التخصص من تقدم.

ومن حيث المعيار الأول وهو الأهداف العامة للبحث العلمى - فى مختلف الفروع والتخصصات والعلوم وباستخدام الأساليب والمناهج المختلفة - يمكن تحديدها فى أربعة أهداف رئيسية عامة هى :

- ١ - التعرف على ظاهرة ما ، أو الوصول إلى استبصارات جديدة عنها ، اما بهدف الصياغة المحددة لمشكلة بحثية أو لتنمية فروض جديدة.
- ٢ - التعرف الدقيق على سمات وخصائص مجتمع معين أو موقف أو جماعة أو فرد معين ، سواء استعان الباحث بفروض مبدئية محددة أو لم يستعن.
- ٣ - تحديد تكرارات حدوث ظاهرة معينة أما مستقلة أو مرتبطة بغيرها من الظواهر مع الاستعانة فى أغلب الحالات بفروض مبدئية محددة.
- ٤ - اختبار صحة فرض ما أو مجموعة من الفروض تدرس العلاقات السببية بين متغيرين أو مجموعة من المتغيرات.

أما من حيث المعيار الثانى وهو مستوى المعرفة العلمية فى التخصصات والعلوم المختلفة فاننا يمكن ان نحدده فى أربع مراحل مختلفة هى :

- ١ - مرحلة الغياب الكامل أو النسبى للبيانات والمعلومات المتعلقة بالظواهر المختلفة أو ببعض الظواهر التى يهتم الباحثون فى تخصص معين بدراستها، وتمثل هذه المرحلة البدايات الأولى للجهود البحثية فى هذا التخصص، ويبدل الباحثون فيها جهودا ارتيادية لاستجلاء الغموض الذى يحيط بالجوانب التى يتضمنها التخصص.

٢ - مرحلة توافر قدر كاف من البيانات والمعلومات عن هذه الظواهر المختلفة، مع الغياب الكامل أو النسبى للأوصاف الدقيقة لها والحقائق المتعلقة بطبيعتها ، وكيفية حدوثها وأسبابه ، والعلاقات بين هذه الظواهر المختلفة ، وتعتبر هذه مرحلة متوسطة فى تطور المعرفة العلمية فى مجال التخصص.

٣ - مرحلة توافر البيانات والمعلومات والأوصاف والحقائق الخاصة بالظواهر المختلفة وكيفية حدوثها وأسبابه والعلاقات بينها، مع الغياب الكامل أو النسبى فى معرفة العلاقات السببية المتبادلة - من الجوانب الكمية والكيفية - بين المتغيرات المختلفة ، أى تأثير متغير معين فى متغير آخر أو فى مجموعة أخرى من المتغيرات وتعتبر هذه مرحلة متقدمة نسبيا فى تطور المعرفة العلمية فى ميدان التخصص.

٤ - مرحلة الضبط المحكم والقياس الدقيق لأثر المتغيرات المختلفة فى حدوث الظواهر التى يهتم الباحثون فى تخصص معين بدراستها، وتعتبر هذه المرحلة من أعلى المراحل التى تصل إليها الجهود البحثية فى هذا التخصص.

من هنا ، ومع الأخذ فى الاعتبار بهذين المعيارين الرئيسيين يمكن أن نحدد أنسب تصنيف للبحوث الاعلامية على النحو التالى :

١ - بحوث استطلاعية (أو كشفية أو تمهيدية أو صياغية :

Exploratory or Discovery or Formulative

وهى التى تركز على اكتشاف الظواهر أو الوصول إلى استبصارات بشأنها وبالتالي فهى تحقق الهدف الأول الداخلى فى نطاق المعيار الأول، كما أنها تستخدم فى المراحل الارتياضية الأولى للبحث فى التخصصات المختلفة.

٢ - بحوث وصفية (أو تشخيصية) :

Descriptive or Normative

وهى التى تركز على وصف طبيعة وسمات وخصائص مجتمع معين أو موقف أو جماعة أو فرد معين ، وتكرارات حدوث الظواهر المختلفة، وبالتالي فهى تحقق الهدفين الثانى والثالث فى نطاق المعيار الأول ، كما أنها تستخدم فى المرحلة المتوسطة من مراحل نمو المعرفة العلمية فى التخصصات المختلفة .

٣ - بحوث السببية (أو بحوث اختبار العلاقات السببية بين المتغيرات أو الفروض) :

Testing Casual Relationship of Hypotheses

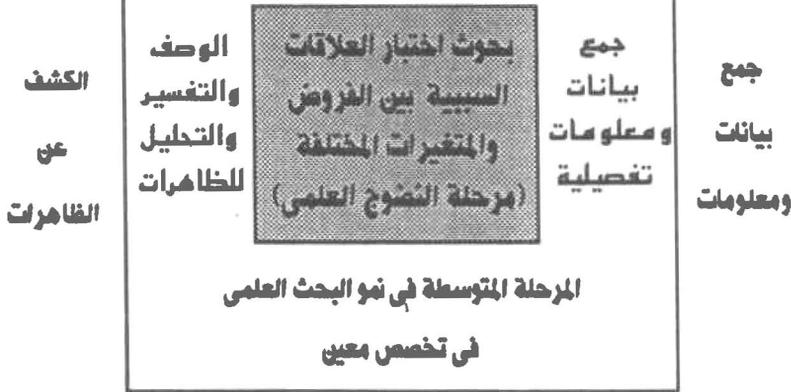
وهى التى تركز على اختبار الفروض السببية بين متغير ومتغير أو مجموعة من المتغيرات المؤثرة فى حدوث الظاهرة التى تجرى دراستها، وبالتالي فهى تحقق الهدف الرابع والأخير فى نطاق المعيار الوظيفى للبحوث ، كما أنها تستخدم فى كل من المرحلة المتقدمة ومرحلة النضوج العلمى من مراحل نمو المعرفة العلمية فى التخصصات المختلفة.

على أننا نود أن نشير إلى أن هذه الأنواع الثلاثة للبحوث تتداخل مع بعضها البعض أحيانا، بمعنى أنه لا توجد حدود فاصلة بين كل منها، فضلا عن امكانية استخدامها جميعا فى مختلف مراحل التطور العلمى فى العلوم المختلفة، أو فى عمل بحثى واحد .

ويوضح الشكل التالى الأنواع المختلفة للبحوث الاعلامية مقرونا بوظيفة كل منها ومدى ارتباطه بمراحل التطور العلمى المختلفة.

بحوث استطلاعية أو استكشافية

بحوث وصفية أو تشخيصية



المرحلة الارتيادية في البحث العلمي في تخصص معين

شكل رقم (٤)

الأنواع المختلفة للبحوث العلمية ووظيفة كل منها
ومدى ارتباطها بمراحل التطور العلمي

ولما كان كل نوع من هذه البحوث ينطوي على مجموعة من التفاصيل الخاصة به فقد قمنا بتقسيم هذا الفصل إلى ثلاثة مباحث يتناول كل مبحث منها أحد أنواع البحوث الاعلامية.

المبحث الأول البحوث الاستكشافية أو الاستطلاعية

يهدف هذا النوع من البحوث إلى اكتشاف ظاهرة معينة أو مجموعة من الظواهر والقاء المزيد من الضوء عليها أما بهدف تكوين أو تحديد مشكلة معينة بدقة قبل البدء في دراستها، أو وضع مجموعة معينة من الفروض حول مشكلة محددة بغرض اختبارها، ويمثل هذا النوع من الدراسات الخطوة الارتياضية الأولى في عملية البحث العلمي حيث يستهدف تحديد المشكلة العلمية ومعالمها تحديدا تاما، وتكوين مجموعة من الفروض ذات الصلة المباشرة بكل مشكلة قبل البدء في الدراسة، بحيث تنتهي هذه الخطوة وقد أوضحت أهم المشكلات التي يجب أن تولي عناية خاصة، وأهم الفروض التي يجب أن توضع موضع البحث والتجربة في البحوث المقبلة.

وترجع أهمية إجراء الدراسات الاستكشافية في مجال الاعلام إلى مجموعة من العوامل من أهمها :

١ - يعتبر علم الاعلام من العلوم الحديثة نسبيا إذا ما قورن بالعلوم الطبيعية مثلا، أو ببعض فروع الدراسات الاجتماعية والنفسية التي حققت درجة عالية من التقدم العلمي، ولكي تتقدم البحوث في مجال الاعلام - وهو مجال بكر- فلا بد أن تتلمس خطاها في البداية حتي تصل إلى بلورة نظرياتها وصقل وسائلها وأدواتها في البحث وهو مايتاح عن طريق البدء بالدراسات الاستكشافية.

٢ - تؤدي الدراسات الاستكشافية في مجال الاعلام إلى امكانية اشتقاق مجموعة من المعايير التي تفيد في التعرف على أهم ميادين المشكلات التي

ينبغي أن توجه إليها البحوث ، وفى المفاضلة بين البحوث المزمع اجراؤها سواء من حيث موضوعها أو أسلوبها فى البحث.

٣ - النقص الملحوظ فى البحوث التطبيقية والنظريات التى يمكن الاعتماد عليها بصفة أساسية فى تفسير الظواهر وتحديد المشكلات التى تواجه مجالات الاعلام المختلفة بعكس الحال فى العلوم الطبيعية - حيث يعتمد الباحث على عدد وفير من النظريات العلمية والبحوث السابقة التى تمكنه من تكوين افتراضات تفسر الظواهر موضع البحث بسهولة ودقة - ولهذا فان الدراسات الاستطلاعية تعتبر خطوة ضرورية للمساعدة فى وضع الفروض التى يمكن استخدامها كأساس فى بحوث اختبار العلاقات السببية ، كما يمكن ان يعتمد عليها الباحث فى جمع الحقائق والبيانات المتعلقة بالموقف حتى يمكن تحديد المشكلة بدقة والتعرف على الابعاد المختلفة لها ، وهى نوع الابعاد التى تتولى البحوث الوصفية وبيحوث اختبار العلاقات السببية قياسها ودراستها بعد ذلك.

٤ - قلة عدد البحوث التى اجريت فى مجال الاعلام ، فضلا عن عدم تغطيتها للمجالات الاعلامية المختلفة ، مع اتسام بعض هذه البحوث بالصبغة الأكاديمية البحتة ، واتسام بعضها الآخر بالصبغة التطبيقية البحتة ، مما يخلق فجوة كبيرة بين النظرية والتطبيق فى مجال الاعلام من جهة ، ويؤدى إلى الافتقار الواضح فى البحوث العلمية التى تمزج بين المبادئ والأسس النظرية ومشكلات التطبيق الفعلى من جهة أخرى.

ومما لاشك فيه أن ذلك يكشف عن وجود مجالات عديدة مجهولة فى اطار الدراسات الاعلامية تحتاج إلى جهود بحثية لارتياها والكشف عن طبيعتها، وهو الدور الذى تقوم به الدراسات الاستطلاعية فى مجال الاعلام.

٥ - وعلى الرغم من العدد الوفير من البحوث التي اجريت فى مجال الاعلام فى الخارج ، والنتائج الهامة التى توصلت اليها ، الا أن من الصعب استخدام مثل هذه النتائج فى مجتمعنا نظرا لاختلاف العدد الكبير من المتغيرات الحاكمة لدينامية العملية الاعلامية بين مجتمعنا والمجتمعات الأخرى، كالمشكلات البيئية والاجتماعية السائدة ، ومستويات التعليم والثقافة والمعيشة والاستهلاك، والظروف السياسية والاقتصادية ، وتأثير القيم الدينية والقيم الاجتماعية والعادات والتقاليد السائدة ، فضلا عن المتغيرات المرتبطة بطبيعة وسائل الاعلام والجوانب الفنية والتكنولوجية لها .

من هنا تبرز أهمية الدراسات الاستكشافية فى استخلاص مجموعة من المشكلات العلمية -على ضوء الدراسات والبحوث التى اجريت فى الخارج- التى تحتاج إلى دراسات تطبيقية فى الدول العربية مع الأخذ فى الاعتبار بالظروف المحلية أو الوطنية السائدة فى كل دولة عربية بهدف اكتشاف عوامل الاختلاف والاتفاق بين النتائج التى انتهت اليها البحوث السابقة والنتائج التى تخلص اليها مثل هذه البحوث التطبيقية.

٦ - تداخل علم الاعلام مع العديد من العلوم الأخرى وتأثره بعدد كبير من النظريات السائدة فى هذه العلوم ، مما يزيد من أهمية الدراسات الاستكشافية فى القاء المزيد من الضوء على درجة التداخل النسبى - فى مشكلة معينة أو فى عدة مشكلات - بين الدراسة الاعلامية الخالصة والدراسات الأخرى كالدراسات الاجتماعية أو السلوكية أو الادارية أو الاقتصادية مما يفتح مجالات رحبة وأفاقا متسعة أمام الباحثين لدراسة الجوانب المتعددة للمشكلة دراسة شاملة مستفيضة دون اغفال أي جانب منها قد يؤثر على طبيعة النتائج والتفسيرات والتحليلات التى تنتهى إليها .

٧ - تتسم النسبة الغالبة من النظريات الاعلامية بأنها إما فضفاضة إلى الدرجة التي لاتسمح بدقة التفسير ومنطقيته ، وإما ضيقة جدا إلى الدرجة التي لاتسمح بتوجيه الباحث توجيهها سليما فى اجراء بحوثه ، ومن هنا تتأكد أهمية الدراسات الاستطلاعية فى الكشف عن المزيد من المشكلات والفروض التي تمكن الباحثين الاعلاميين من سبر غور هذه النظريات سواء الفضفاضة أو الضيقة، والوصول إلى نظريات أكثر دقة وأكثر تحديدا وأكثر قابلية للتطبيق والتعميم.

وفى ضوء هذه الأهمية التي ذكرناها بالنسبة للدراسات الاستكشافية يمكن أن نحدد أهم وظائفها فيما يلى (١) :

- ١ - زيادة تعرف الباحث على الظاهرة أو الظاهرات التي يرغب فى دراستها فى المستقبل دراسة دقيقة متعمقة ، أو تعريفه بالمجال الذي تجرى فيه الدراسة.
- ٢ - زيادة درجة ادراك الباحث للمشكلة التي يتصدى لدراستها وأهم المتغيرات المؤثرة فيها ، واكتشاف العلاقات بين تلك المتغيرات.
- ٣ - تحديد مشكلة البحث وصياغتها صياغة علمية دقيقة تعين الباحث على التخطيط لدراستها دراسة عميقة متكاملة، أى أن الدراسة الاستكشافية هنا تعين الباحث على تخطيط معالم مشكلة غير محددة تماما.
- ٤ - التعرف على الفروض والاحتمالات التي يمكن اخضاعها للبحث العلمى الدقيق، ومحاولة التثبت من صحتها أو خطئها فى بحوث تالية.
- ٥ - توضيح المفاهيم المتعلقة بالمشكلة أو الظاهرة موضع الدراسة.
- ٦ - تجميع المعلومات الخاصة بالامكانيات العملية لاجراء البحوث وتنفيذها، واستطلاع حقيقة الموقف الفعلى الذي تجرى فيه الدراسة، ومدى الامكانيات العملية التي تيسر تنفيذ البحث أو تقف عائقا فى سبيل تنفيذه.

٧ - تحديد مجموعة من الموضوعات والمشكلات البحثية التي يراها الاخصائيون أنها جديرة بالبحث العلمى فى مجال معين.

٨ - تحديد أولويات البحث بالنسبة للبحوث المستقبلية .

من هنا يتضح أن الدراسات الاستكشافية تمثل الخطوة المبدئية فى عملية البحث، وفى نفس الوقت تعتبر أصعب خطوة فى العمل البحثى وعليها يتوقف نجاح الجهود البحثية فى مجال التخصص ، ذلك أن المناهج والأساليب الدقيقة التى يستخدمها الباحث فى الخطوة المتقدمة من بحثه لن يكون لها قيمة إذا استندت إلى بدايات خاطئة أو غير سليمة.

متطلبات الدراسة الاستكشافية :

لما كانت البحوث الاستكشافية تمثل الجهود البحثية الارتيادية فى مجال علمى معين يجهد الباحث الكثير عن طبيعته وعن الظاهرات التى يقوم بدراستها فى مجاله ، فان تصميم هذا النوع من البحوث يستلزم - من حيث تصميمه - درجة عالية من المرونة والشمول وعدم التحديد الدقيق ، ذلك ان الباحث - فى مثل هذا النوع من الدراسات - غير مطالب باختبار مدى صحة فروض معينة ، وانما يستهدف الحصول على نتائج كشفية تزيد من استبصاره ببعض الفروض أو الاحتمالات المتعلقة بالظاهرة التى يقوم بدراستها.

ولكى تحقق الدراسات الاستكشافية النتائج المستهدفة من اجرائها ينبغى على الباحث اتباع الأساليب التالية :

١ - مسح التراث العلمى فى الموضوع الذى يقوم بدراسته وذلك عن طريق الاطلاع على البحوث السابقة التى اجريت فى مجال بحثه وفى المجالات التى

لها صلة بالمشكلة^(٢)، فالباحث فى مجال الاعلام يمكنه الاطلاع على البحوث الاعلامية التي اجريت - سواء فى الدول العربية أو فى الخارج - حول موضوع بحثه، بالاضافة إلى الاطلاع على بعض البحوث فى مجال الدراسات الاجتماعية والنفسية والتربوية والسياسية مثلا ، والتي يحتمل أن تكون قد تناولت بعض جوانب المشكلة التي يتصدى لدراستها من زوايا مختلفة ، على نحو ماعرضنا لذلك فى الجزء الخاص باختيار المشكلات العملية وتقويمها .

٢ - تحليل بعض الحالات المثيرة للاستبصار^(٣) ، بهدف اكتشاف بعض المعالم أو الفروض التي يحتمل أن تكون متضمنة فى المشكلة أو الظاهرة التي يقوم الباحث بدراستها .

٣ - الرجوع إلى الباحثين السابقين ونوى الخبرة العملية فى نوع الموضوعات التي يتصدى البحث لدراستها، وذلك بهدف تجميع الخبرات التي قد تكون ذات فائدة فى تمكين الباحث من التعرف على مختلف الجوانب العلمية والتطبيقية التي قد يتعرض لها فى دراسته.

ولاشك أن مجال الدراسات الاعلامية يزخر بالخبراء والمتخصصين فى مجالاته المختلفة سواء فى الصحافة أو الراديو أو التلفزيون أو فى الجوانب الفنية والتنفيذية التي تشملها وسائل الاعلام المختلفة كالتحرير والخراج وتخطيط البرامج والاعداد والتحليل والاعلان والادارة والعلاقات العامة وغيرها من الجوانب العملية والتطبيقية المختلفة التي تتيح للباحثين الحصول على خلفية عملية متكاملة مؤسسة على خبرات وممارسات مهنية طويلة، وهو ما يثرى هذا النوع من الدراسات الاستكشافية بعشرات المشكلات البحثية ذات الأهمية القصوى فى مجال الاعلام.

المبحث الثانى البحوث الوصفية او التشخيصية

بعد أن تؤدى الدراسات الاستكشافية دورها فى التعريف بأهم المشكلات والفروض الجديرة بالبحث ، تبدأ خطوة البحوث الوصفية التى تستهدف تصوير وتحليل وتقويم خصائص مجموعة معينة أو موقف معين يغلب عليه صفة التحديد، أو « دراسة الحقائق الراهنة المتعلقة بطبيعة ظاهرة أو موقف أو مجموعة من الناس أو مجموعة من الأحداث أو مجموعة من الأوضاع »^(٤) ، وذلك بهدف الحصول على معلومات كافية ودقيقة عنها، دون الدخول فى أسبابها أو التحكم فيها ، وذلك بغض النظر عن وجود أو عدم وجود فروض محددة مسبقا - ذلك أن الدراسات الوصفية لا تتضمن بالضرورة فروضا سببية تخضع للاختبار والدراسة - كما قد تستهدف تقدير عدد مرات تكرار حدوث ظاهرة معينة ومدى ارتباطها بظاهرة أو مجموعة أخرى من الظواهر.

وقد لاقى مفهوم الدراسات الوصفية فهما خاطئا لدى البعض الذين تصوروا أنها مجرد عملية جمع بيانات فقط لا لخدمة غرض علمى مباشر، وإنما بهدف توفير البيانات لخدمة سائر الباحثين كما تفعل أجهزة الاحصاء الرسمية سواء على مستوى الدولة أو على مستوى القطاعات المختلفة.

والواقع أن قصر مفهوم الدراسات الوصفية على مجرد جمع البيانات الاحصائية وتوفيرها لخدمة سائر الباحثين يمثل نظرة جزئية إلى هذا النوع من البحوث التى لا تقف عند حد جمع البيانات وإنما يمتد مجالها إلى تصنيف البيانات والحقائق التى تم تجميعها وتسجيلها، وتفسير هذه البيانات وتحليلها تحليلًا شاملاً واستخلاص نتائج ودلالات مفيدة منها تؤدى إلى امكانية اصدار

تعميمات بشأن الموقف أو الظاهرة التي يقوم الباحث بدراستها، وبناء أساس للحقائق التي يمكن أن تتبنى عليها فروض إيضاحية أو تفسيرية للموقف أو الظاهرة بما يسهم في تقدم المعرفة.

ويمكن القول أن جزءا كبيرا من البحوث في مجال الاعلام يعتبر من نوع البحوث الوصفية ، حيث يسعى الباحث في مجال وسائل الاعلام كالصحافة والراديو والتلفزيون وغيرها من الوسائل الى التعرف على عدد القراء أو المستمعين أو المشاهدين بكل وسيلة ، وخصائصهم من حيث السن والجنس والدخل ودرجة التعليم ونوعيته ومستوى المعيشة والمهنة والقطاعات الوظيفية والمناطق الجغرافية التي يقطنونها، كما يسعى إلى التعرف على درجة تفضيلهم لكل وسيلة اعلامية على حدة ، ونوع الأبواب الصحفية أو البرامج الاذاعية أو التلفزيونية التي يفضلونها وأسباب هذا التفضيل ، وأنسب فترات الاستماع أو المشاهدة، ومدى التداخل في قراءة وسماع ومشاهدة الوسائل الاعلامية المختلفة، وغيرها من البيانات ذات الصبغة الوصفية التي قد تفيد في تخطيط النشاط الاعلامي عامة وفي كل وسيلة على حدة من ناحية ، وفي تعرف المعلنين - مثلا - على نوع الوسائل الاعلانية المناسبة لهم للاعلان بها من ناحية أخرى.

وينسحب ذلك أيضا على عدد كبير من بحوث الاعلان والعلاقات العامة والرأي العام والدوافع وكلها من ضمن مجموعة بحوث الاعلام بصفة عامة.

ويمكن أن نقسم البحوث الوصفية إلى خمسة أنواع ، لكل نوع منها خصائصه التي ترتبط بنوع الهدف المطلوب وذلك على النحو التالي :

١ - بحوث تستهدف وصف خصائص بعض الجماعات بصفة عامة، سواء من الناحية الديموجرافية أو الاجتماعية أو غيرها.

٢ - بحوث تستهدف التعرف على نوع معين من الجمهور يعتقد آراء معينة أو يتجه اتجاهات معينة ، أو يتصرف تصرفات معينة.

٣ - بحوث تستهدف التعرف على الأوصاف الدقيقة للظاهرة أو لمجموعة الظواهر التي يقوم الباحث بدراستها من حيث ماهيتها وطبيعتها ووضعها الحالى والعلاقات بينها والعوامل المختلفة المؤثرة فيها.

٤ - بحوث تستهدف التنبؤ باحداث أو اتجاهات معينة.

٥ - بحوث تستهدف اختبار أو اكتشاف العلاقات بين المتغيرات المختلفة الواردة فى التفكير الأساسى للبحث.

أهمية تصميم البحوث الوصفية :

ولما كان من الضرورى فى حالة البحوث الوصفية الحصول على وصف كامل وبيقى للمشكلة، والتأكد من جمع كل البيانات الضرورية التى تكفل التعرض لها وتحليلها بأكبر درجة ممكنة من الدقة، وتقادى حدوث أى تحيز فى جمع هذه البيانات حتى تزيد درجة اعتمادية النتائج المستخلصة منها وامكانية انطباقها أو انسحابها على المواقف أو الحالات أو الأمثلة المشابهة ، وتجنب جمع البيانات غير الضرورية اختصارا للوقت والجهد والتكلفة باعتبار انها تتجه إلى الوصف الكمى أو الكيفى للظواهر أو المواقف أو المجموعات المختلفة للتعرف على تركيبها وخصائصها، فان ذلك يتطلب ضرورة الاهتمام أساسا بالتصميم الشكلي أو الهيكلى لهذا النوع من البحوث ، كما يقتضى ضرورة الاهتمام بأسلوب التعبير عن البيانات الواردة بالبحث.

وعلى هذا الأساس اتجهت أغلب البحوث الوصفية إلى استخدام الأساليب الكمية Quantitative فى التعبير عن البيانات والنتائج الخاصة بها استنادا إلى وحدات قياس يمكن عدّها وحسابها ، والاعتماد تماما على الطرق الاحصائية فى تبويب البيانات وجدولتها وتحليلها واستخراج المؤشرات التى تتضمنها .

وعلى الرغم من أهمية استخدام هذه الطرق الاحصائية والكمية فى عرض النتائج وأثرها فى تحقيق درجة كبيرة من التقدم فى ميادين التخصص المختلفة - خاصة تلك التى لم تحظ بتقدم علمى أو بحثى ملموس - على الرغم من ذلك فإن من الضرورى ان يستخدم الباحث الأساليب الوصفية Qualitative جنبا إلى جنب الأساليب الكمية نظرا لما يؤدى إليه استخدامهما من تعريفه بالعوامل الهامة التى يمكن أن تخضع للقياس الكمى مع تأكده من دقة الرموز اللفظية المستخدمة بحيث تحمل نفس المعنى بالنسبة لكل الدراسين فى تخصص معين .

المبحث الثالث بحوث السببية أو بحوث اختبار العلاقات السببية بين المتغيرات والفروض

يستهدف هذا النوع من البحوث - على نحو ما ذكرنا - اختبار الفروض السببية بين متغير ومتغير آخر أو مجموعة أخرى من المتغيرات التي تؤثر في حدوث الظاهرة التي تجرى دراستها.

وعلى هذا الأساس فإن هذا النوع من البحوث يحقق الهدف الرابع والأخير في نطاق المعيار الوظيفي للبحوث على نحو ما عرضنا لذلك في المدخل الخاص بهذا الفصل، كما أنه يرتبط بالمرحلة المتقدمة - التي تمثل مرحلة النضوج العلمي - من مراحل نمو المعرفة العلمية في التخصصات المختلفة.

ويحتاج هذا النوع من البحوث نوع الاجراءات العلمية التي لاتؤدى فقط إلى تقليل التحيز وزيادة درجة اعتمادية النتائج المستخلصة كما هو الحال في البحوث الوصفية ، بل التي تسمح أساسا باستنتاج نوع وطبيعة العلاقات السببية بين المتغيرات المختلفة التي تفسر سلوك الظاهرة موضع البحث.

وبالنظر إلى بعض المناهج المستخدمة في البحوث الوصفية - كمنهجي الدراسات السببية المقارنة والدراسات الارتباطية - نجد أن الباحث يستخدمها لكي يصل إلى معرفة كيفية حدوث الظاهرة وأسبابها ، الا أن استخدام هذين المنهجين لا يكفي لاستنتاج العلاقات السببية ، وانما يرشد الباحث فقط إلى وجود علاقات ترابطية بين ظاهرات معينة، ولكن لايعنى ذلك الارتباط - بالضرورة - أن احدى الظاهرات تسبب حدوث ظاهرة أخرى.

وهنا يكمن الفرق الأساسي بين أهداف بعض البحوث الوصفية، وأهداف بحوث اختبار العلاقات السببية من جهة، كما تكمن أيضا درجة التكامل بينهما من جهة ثانية.

ففي بعض البحوث الوصفية يسعى الباحث إلى جمع البيانات والمعلومات والأدلة التي تشير إلى وجود ارتباط بين متغيرات معينة والمتغير الذي تجرى عليه الدراسة ، والباحث في مجال بحوث اختبار العلاقات السببية يستفيد من نتائج البحوث الوصفية في صياغة الفروض السببية لبحثه والقيام بالاجراءات البحثية الخاصة باختبار مدى صحة هذه الفروض والانتهاى إلى نتائج - عن العلاقات السببية بين متغيرات معينة - يمكن تعميمها.

وفي الوقت الذي تعتبر فيه مشكلة « السببية » من أهم المشكلات التي تتصدى لها البحوث المتقدمة في تخصص معين ، فانها تعتبر من أعقد المشكلات المنهجية في العلوم الاجتماعية عامة وفي مجال الاعلام بصفة خاصة بعكس الحال في العلوم الطبيعية ، ذلك أن المجال الذي يعمل فيه الاعلام يموج بالمتغيرات والعوامل والمسببات المتعددة للظاهرة التي يقوم الباحث بدراستها، مما يلقي مزيدا من الصعوبات بالنسبة لامكانية الوصول إلى الأسباب الحقيقية المؤدية إلى حدوث الظاهرة.

وعلى الرغم من أن بحوث اختبار العلاقات السببية تستخدم بعض المناهج مثل المنهج التاريخي ومنهج دراسة الحالات والمنهج التبعي، الا أنها تعتمد بصفة أساسية على « المنهج التجريبي » نظرا لما تؤدي إليه نوع الاجراءات التجريبية من التحكم الدقيق في المتغيرات المؤثرة في الظاهرة وضبطها ، وقد أدى الارتباط الوثيق بين التجربة - كأداة - وبين بحوث اختبار العلاقات السببية، إلى اعتقاد بعض الباحثين بأن بحوث اختبار العلاقات السببية هي ذاتها بحوث تجريبية على

الرغم مما ينطوى عليه هذا الاعتقاد من خطأ ناتج من الخلط بين الوسيلة المستخدمة فى البحث - وهى التجريب - وبين وظيفة البحث وهدفه النهائى وهو التعرف على العلاقات السببية التى بنيت عليها الفروض السببية المصاغة أساسا فى البحث.

المحددات الأساسية للعلاقات السببية بين المتغيرات :

تتضمن الظاهرة التى يقوم الباحث بدراستها مجموعة من العوامل والعناصر المتفاعلة يطلق عليها « المتغيرات » Variables ، وتنقسم إلى ثلاثة أنواع هى :

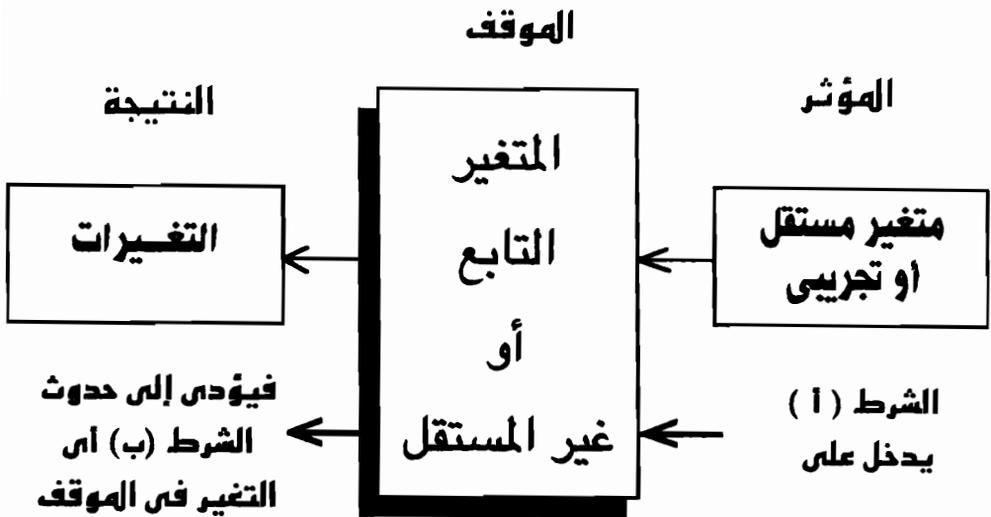
١ - المتغير المراد قياسه ودراسة تأثير العوامل الأخرى عليه ويسمى "المتغير التابع أو المعتمد أو غير المستقل" Dependent Variable .

٢ - المتغير المراد قياس تأثيره على الظاهرة ويسمى « المتغير المستقل أو غير المعتمد أو التجريبي » Experimental or Independent Variable .

٣ - مجموعة من المتغيرات المتداخلة التى تؤثر فى الموقف ، وتسمى المتغيرات المتداخلة أو المعترضة Intervening Variables^(٥) .

وتبنى بحوث اختبار العلاقات السببية على أساس صياغة فروض مسببة تتصور وجود متغير أو متغيرات مستقلة تؤثر فى متغير تابع أو غير مستقل هو الظاهرة التى يقوم الباحث بدراستها.

وعلى هذا الأساس يحدد الباحث المتغيرات والعلاقات بينها تحديدا دقيقا على نحو ما يوضحه الشكل التالى :



شكل رقم (٥)

العلاقة بين المتغيرات التابعة والمستقلة

ولكى يختبر الباحث صدق النتيجة المستتنبطة من هذا الفرض يصمم البحث بطريقة تضمن ضبط جميع الشروط ماعدا المتغير المستقل أو التجريبي الذى يتناوله بالتغيير، ثم يلاحظ ما يحدث للمتغير التابع كنتيجة للتعرض للمتغير المستقل.

ولكى يستدل الباحث على وجود علاقة سببية بين المتغيرين فإنه يستخدم مجموعة المحددات الأساسية التالية (٦) لتحقيق هذا الاستدلال :

Concomitant Variation

١ - التغيير الاقترانى

وهو الذى يوضح مدى وجود تلازم فى الحدوث بين المتغير التابع والمتغير المستقل، كما أنه يحدد نوعية هذا التلازم وقوته .

ولتوضيح هذه النقطة يمكن أن نضرب مثالا عن العلاقة بين حجم المبيعات من سلعة معينة (متغير تابع) وبين الحملة الاعلانية عن هذه السلعة (متغير مستقل).

يقيس التغير الاقترانى هنا الزيادة فى حجم المبيعات بعد تنفيذ الحملة الاعلانية، وهل حدثت زيادة فى المبيعات - أساسا - أم لم تحدث ، ودرجة الزيادة التى تحققت فى حجم المبيعات نتيجة الحملة الاعلانية.

٢ - الترتيب الزمنى لحدوث المتغيرات :

لما كان من المنطقى أن الأثر دائما يكون نتيجة للسبب وبالتالي يأتى بعده فى التتابع الزمنى، فإن المتغير المستقل (السبب) يجب أن يأتى فى الترتيب الزمنى سابقا على المتغير التابع (الأثر).

واستطرادا مع المثال السابق نجد أن من الضرورى لكى نتحقق من أن الحملة الاعلانية أدت إلى ترويج المبيعات أن نتأكد من أن الحملة الاعلانية بدأت أولا ثم اعقبها الزيادة فى المبيعات.

ويلاحظ أنه على بعض الظواهر الاجتماعية غالبا مايتبادل طرفا العلاقة السببية وظيفتهما فى الموقف الواحد فيصبح الأثر سببا والسبب أثرا وهو مايسمى « بالعلاقات السببية التناسبية »^(٧) الا أن من الضرورى أن يقوم الباحث بالتركيز على تأثير متغير معين على المتغير الآخر مع الأخذ فى الاعتبار - بالطبع - هذا النمط من العلاقات التبادلية .

٣ - استبعاد المتغيرات السببية الاخرى المحتملة :

لما كان الموقف الاجتماعى يتأثر بالعديد من المتغيرات التى تسبب حدوث الظاهرة موضع البحث ، فيجب على الباحث - اذا ما أراد أن يقيس العلاقة

السببية بين متغيرين فقط - أن يدرس جميع العوامل السببية الأخرى التي يحتمل أن تكون ذات تأثير على المتغير التابع الذي يقوم بدراسته، ثم يقيس مدى تأثيرها على المتغير بحيث يتم استبعادها واحدة بعد الأخرى إذا ما ثبت عدم تأثيرها.

واستطرادا مع المثال السابق أيضا يمكن القول بأن هناك عدة عوامل يحتمل أن تكون ذات تأثير في زيادة المبيعات وحدثت في نفس التوقيت الذي بدأت فيه الحملة الاعلانية مثل :

- اختفاء بعض السلع المنافسة لها.
- وجود ظروف موسمية مواتية للاقبال على شراء السلعة.
- تخفيض سعر بيع السلعة.

وعلى الباحث في هذه الحالة أن يتأكد من عدم حدوث هذه العوامل وغيرها من العوامل التسويقية الأخرى ويستبعدا حتى يستنتج صحة الفرض السببي المصاغ عن تأثير الحملة الاعلانية على هيكل المبيعات.

ويلاحظ أن هذه المحددات الثلاثة مترابطة معا ويجب أن تدرس كل منها في اطار ماتدل عليه بقية المحددات حتى تعطى للباحث الأساس الامبيريقى الذي يمكن أن يستخدمه في استنتاج العلاقات السببية المتضمنة في الفروض المصاغة أساسا للبحث.

الصعوبات التي تصادف الباحث في اجراء بحوث اختبار العلاقات السببية :

تواجه الباحث الذي يقوم باجراء بحث خاص باختبار العلاقات السببية - في مجال الدراسات الاجتماعية والاعلامية بوجه خاص - عدة صعوبات يمكن تقسيمها إلى نوعيتين أساسيتين هما :

النوعية الأولى وهي: الصعوبات الناشئة عن تعقد المواقف الاجتماعية أو الظواهر الإعلامية التي يقوم الباحث بدراستها .

فالعلوم الاجتماعية عموما والاعلام خاصة تقوم بدراسة مواقف متعددة الجوانب ، وتتداخل في احداثها مجموعة من المتغيرات بحيث يصعب على الباحث تحديد المتغير المستقل المسبب للموقف بشكل دقيق ، فضلا عن عدم امكان السيطرة على جميع المتغيرات الهامة التي تؤثر على الموقف أو الظاهرة وابقائها ساكنة فيما عدا المتغير التجريبي ، « ومهما بلغت قدرة الباحث ومهارته في احكام خطته التجريبية للتحكم في العوامل المراد معرفة تأثيرها في ظاهرة ما ، فهي ليست محصنة تماما ضد تسرب تأثيرات أخرى تخرج عن نطاق قدرته في التحكم (٨) » .

النوعية الثانية: وهي الصعوبات التي قد تنشأ نتيجة عدم احكام ضبط العوامل المتداخلة في اجراء البحث .

وفي هذا الصدد يواجه الباحث مجموعتين من هذه العوامل على النحو التالي :

(١) مجموعة عوامل مرتبطة بالمتغيرات الخاصة بالعينات التي يجرى عليها البحث، حيث يحتمل الا يتم انتقاء المجموعات التي تجرى عليها التجارب بطريقة يراعى فيها التماثل التام بين أفراد هذه المجموعات ، ومن ثم لا يمكن الحكم بأن المتغير التجريبي وحده هو الذى أدى إلى وجود فروق فى النتيجة النهائية للتجربة، إذ يحتمل أن تكون هناك عوامل مؤثرة فى أفراد المجموعات مثل عامل السن مثلا ، أو درجة الذكاء ، أو ارتفاع المستوى التعليمى أو الثقافى لأفراد مجموعة بالقياس إلى المجموعة أو المجموعات الأخرى، وتكون هذه العوامل ذات أثر واضح على نتائج التجربة وبالتالي يصعب التحديد الدقيق لأثر المتغير التجريبي وحده على المتغير التابع.

من هنا فان من أوجب الضرورات تحديد خصائص المبحوثين تحديدا دقيقا، وتقسيم الأفراد على مجموعات البحث بطريقة متماثلة متكافئة تضمن تماثل جميع العوامل المرتبطة بمتغيرات المجتمع الأصلي في جميع أفراد المجموعات، وذلك حتى يتسنى للباحث أن يقدر - بشكل دقيق إلى حد كبير- أثر المتغير التجريبي على المتغير التابع.

(٢) مجموعة عوامل مرتبطة بالاجراءات البحثية ذاتها ، ذلك أنه على الرغم من تكوين مجموعات متماثلة الا أن عدم احكام الاجراءات البحثية والتجريبية أثناء القيام بالتجارب قد يؤدي إلى وجود فروق في النتائج ليس مرجعها تأثير المتغير التجريبي وحده ، وانما ترجع أيضا إلى عدم إحكام الاجراءات البحثية، وتتمثل أبرز العيوب الناشئة في مثل هذه الحالات فيمايلي :

* عدم اعطاء كل المجموعات نفس الدرجة من الاهتمام والتدقيق والتساوى في متطلبات التجربة .

* استخدام مقاييس غير متماثلة في قياس الآثار الناتجة عن تطبيق التجربة على المجموعات المختلفة.

* عدم تقدير أهمية العنصر الزمني في التأثير على نتائج التجربة، فعند مقارنة أسلوبين اعلاميين مختلفين على مجموعتين ، قد يتضح - فيما بعد - أن احدهما يؤتى آثاره الايجابية على الأجل الطويل ، بينما يعطى الآخر آثارا سريعة سرعان ماتلاشى ، والحكم السريع في هذه الحالة على نتيجة التجربة يعطى مؤشرات خاطئة لأن الباحث لم يدخل العنصر الزمني في حسابه، ولم يعط التجربة الوقت الكافي لابرز النتائج الفعلية الصحيحة.

* احتمال أن يكتشف المبحوثون الهدف النهائي من اجراء البحث، وبالتالي فقد يتصرفون بطريقة مختلفة عن سلوكهم الطبيعي سواء من الناحية

الإيجابية أو السلبية وفقا لأرائهم واتجاهاتهم المسبقة بالنسبة لأهداف البحث مما يؤثر على النتائج النهائية للتجربة.

* قد يؤدي استخدام مجموعة بحثية أكثر من مرة إلى اكتساب أفرادها خبرة ومهارة وسرعة في الاستجابة تعطى مؤشرات غير صحيحة إذا قيست بمعدل أداء أو استجابة مجموعة بحثية جديدة لم تشترك في التجارب .

* كما قد يؤدي استخدام مجموعة بحثية أكثر من مرة في قياس تأثير متغير تجريبي معين إلى صعوبة الحكم بعد ذلك على أثر هذا المتغير التجريبي، نتيجة الآثار التراكمية للخبرة المكتسبة لهذه المجموعة من خلال التجارب السابقة التي اشتركت فيها ، ففي حالة قياس أثر استخدام أساليب ووسائل اعلامية متنوعة في اكتساب المعارف والمعلومات العامة، واستخدام أكثر من أسلوب ووسيلة اعلامية بالنسبة لمجموعة واحدة يصبح من الصعب معرفة أثر الأسلوب والوسيلة الثانية منفردا نظرا لاحتمال وجود تأثير تراكمي لدى هذه المجموعة نتيجة استخدام الأسلوب والوسيلة الأولى.

هوامش الفصل السادس ومراجعته :

(١) انظر المراجع التالية :

- محمد زيان عمر - مراجع سابق ، ص ١٣١ .

- نجيب اسكندر وآخرون ، مراجع سابق ، ص ١٩٥ .

- C. Seltez, et al., op. cit., p. 51.

(٢) كمثل على خطوة مسح التراث العلمي في أحد مجالات الاعلام يمكن الاشارة إلى المؤلف الذي وضعته الجمعية الدولية للدراسات والأبحاث عن الاعلام تحت اشراف « ويلبور شرام » بعنوان

«تأثير التلفزيون على الأطفال والمراهقين» وقد قام بترجمته إلى العربية «المهدى النبوى وزكى مبارك» ونشرته اللجنة الوطنية المغربية لليونسكو بمساعدة منظمة اليونسكو عام ١٩٦٥ ويضم مجموعة البحوث والدراسات التي أجريت في مختلف دول العالم عن تأثير التلفزيون على الأطفال والمراهقين.

(٣) أنظر المراجع التالية :

- C. Seltz, et al., op. cit., p. 53.

- عبد الباسط حسن ، مرجع سابق ، ص ٥٢٥ .

- نجيب اسكندر وآخرون ، مرجع سابق ، ص ١٩٠ .

(4) F.L. Whitney, The Elements of Research (New York : n.p., 1946), p. 153.

(٥) محمد زيان عمر ، مرجع سابق ، ص ١٠٠ .

(٦) انظر المرجعين التاليين :

- C. Seltiz, et al., op. cit., pp. 90 - 108.

- جمال زكى ، السيد يس ، أسس البحث الاجتماعى ، (القاهرة : دار الفكر العربى ، ١٩٦٢) ص ١١٤ - ١٢١ .

(٧) جمال زكى ، السيد يس ، مرجع سابق ، ص ١١٨ .

(٨) محمد زيان عمر ، مرجع سابق ، ص ٩٨ .